الثغور ودورها العسكري والحضاري

الدكتور
توفيق سلطان اليوزبكي
عميد كلية الآداب

تمهيد :

تحتل العلاقات العربية البيزنطية مكانة هامة في التاريخ العربي لانها تمثل صورة الصراع الحربي الطويل عند الثغور الذي استمر دون انقطاع طوال قرون ، وتبدأ قوة العلاقات الحربية بين العرب والبيزنطيين بقيام الدولة الأموية حيث اندفعت الجيوش والاساطيل العربية حتى بلغت أبواب — القسطنطينية . وقد استدعى الدولة الأموية هذه الاعمال لتأمين حدود الشام على تخومها من الشمال والشمال الشرقي ، وفي ظـل هذه الستراتيجية استدعى الموقف ان تؤمن الشام بفتح الجزيرة ومصر وفي بناء الحصون والقلاع والثغور على الحدود في الوقت الذي حشدت الدولة البيزنطية كل قواها وامكانياتها للاحتفاظ بالمناطق الحصينة . غير ان العرب نجحوا في تحصين الشام والجزيرة وأرمينية وثبتوا حدودهم في مواجهة الروم وكان عليهم أن يضعوا خططاً ستراتيجية تتمشى مع خطة حركات التحرر العربي فقاموا بتأسيس قواعد عسكرية في مناطق الحدود وأعادوا بناء المدن المهجورة والمخربة وبناء مدن بحرية وتحصينها ، أطلق عليها اسم الثغور عـلى أن تحصين المدن الحدودية لم يقتصر عـلى المواقع البرية بـل حصنوا السواحل البحرية فأقاموا الثغور البحرية وأنشأوا أسطولا حربياً لحماية الحدود العربية بحيث استطاع العرب سنة ٣٤هـ = ٦٥٥م في انزال ضربة قاضية في الأسطول البيزنطي وقد هدف الأمويون والعباسيون من وراء عنايتهم بالثغور الى تأمين حدودهم البرية والبحرية لضمان استقرار الدولة السياسي والعسكري .

معنى الثغور :

مفردها (ثغر) وتعني كل موضع يكون في ارض العدو في بطن واد أوفرجةجبل قرب ارض المسلمين (١)ويسمى من يسكنها ويلازمها من الناس بالمرابطين (٢) ويرى بعض الباحثين وهو المكان أو الثغر الذي يرابط فيه الجنود العرب للجهاد في سبيل الله ويلازمونه لرصد العدو (٣) وقد ورد ذكرها في القرآن فقال تعالى « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» (٤)وقال تعالى ايضاً «وصابروا ورابطوا»(٥) وورد في الحديث الشريف « رباط يـــــوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » (٦)وقد حث الفقهاء على حماية الثغور والمرابطة فيذكر الماوردي: ان من واجبات الامام (تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا تظهر الاعداء بقوة ينتهكون فيها محرماً ويسفكون منها لمسلم أو معاهد دما) (٧)

ومن الجدير بالذكر أن هذه الربط تقع في الثغور على الحدود المواجهة للدولة البيزنطية وتشحن عادة بالمقاتلة وتخزن فيها المواد الغذائية والأسلحة

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ج٣ ص١٦ ، ابن منظور لسان العرب ج٥ ص ١٧١ .

(٢) المرابطين : جاءت من كلمة (الرباط) مفرد (ربط) و (رابطة) وردت في القرآن(سورة ٨آية ٦٠)وأصل الرباط أن يربط فيه الخيل(ابن منظور ،لسان العرب ج٩ ص١٧٣) كذلك ربط النبي في أحاديث كثيرة بين الخيل والجهاد (انظر ابن هذيل حلبة الفرسان وشعار الشجعان تحقيق عبدالغني ،دار المعارف ص ٤٧) ويرى المقريزي : اما الرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغور رباط (المقريزي المواعظ والاعتبار ج٢ ص٤٢٧ القاهرة ١٢٩٤هـ).

(٣) فيصل السامر ودكسن : محاضرات في تاريخ الحضارة الاسلامية ص٧١، بغداد ١٩٧٠.

(٤) سورة الانفال : اية ٦٠.

(٥) سورة آل عمران : اية ٢٠٠.

(٦) البخاري : صحيح البخاري ج٤ ص ٤٣، القاهرة ١٣١٣ هـ.

(٧) الماوردي : الاحكام السلطانية ،ص ١٣ .

ويكون واجبها الأساس هو مواجهة الخطر الخارجي الموجه من قبل الاعداء(١) وقد ازدادت أهمية الربط في العصر الأموي والعصر العباسي الأول وخاصة في عهد الرشيد الذي كان حافلا بالجهاد ضد البيزنطيين .

حدود الثغور :

وكانت الثغور تمثل حزاماً لمنطقة شاسعة ممتدة من شمال انطاكية وحلب إلى طرسوس وطوروس ، بعضها مقترن بثغور الشام وبعضها مقترن بثغور الجزيرة وكلاهما من الشام ، وذلك ان كل ما وراء الفرات من الشام انما سمي من ملطة إلى مرعش ثغور الجزيرة ، لأن أهل الجزيرة بها يرابطون وبها يغزون ،« لانها من الجزيرة وبين ثغور الشام وثغور الجزيرة جبل الحكام وهو الحد الفاصل بين الثغرين ، وجبل الحكام هو جبل داخل في بلد الروم ، ويظهر في بلد الاسلام بين مرعش والهارونية وعين زربة فيسمى اللكام إلى أن يتجاوز اللاذقية ثم يسمى جبل بهراء ، وتنوخ إلى حمص ثم سمي جبل لبنان ، ثم يمتد على الشام حتى ينتهي إلى بحر القلزم (الاحمر) »(٢). اما الحصون الحدودية فأطلقوا عليها في عهد عمـــر وعثمان بالعواصم الواقعة بين انطاكية ومابنيدي (٣) (منها برية تلقاها بلاد العدو وتقاربه من جهة البر ، ومنها بحرية تلقاه وتواجهه من جهة البحر ، ومنها ما يجتمع فيه الأمران وتقع المغازي من أهله في البر والبحر) (٤) ويذكر ابن خرداذبة في معرض حديثه عن العواصم فيقول : انما سمي كل واحد منها عاصماً لأنه يعصم الثغر ويمده في أوقات النفير ثم ينفر اليه من أهل أنطاكية والجومة والفورس (٥) وهذا يتنافى مع ماذكرته بعض المصادر من أن تعابير الثغور

---

(١) محمد جاسم حمادي ،الجزيرة الفراتية والموصل ص٤٤٩ دار الرسالة بغداد ١٩٧٧.

(٢) الاصطخري : المسالك والممالك ص ٤٣ ،دار القلم ١٩٦١، ابن حوقل ،صورة الارض ص ٥٤ مكتبة الحياة بيروت .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية (مادة العواصم) ج١ ص٧٦١.

(٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص٢٥٣ .

(٥) المصدر السابق ص٢٥٣ .

والعواصم هي أسماء مختلفة لنفس الشيء (١) وهذا غير صحيح لان كليهما متميز تماماً :

ان منطقة العواصم مثلها مثل الثغور كانت مسرحاً لحروب دامية بين الدولة البيزنطية والعرب وبقيت مستعملة كمصطلح جغرافي من قبل الجغرافيين العرب حتى فترة الحروب الصليبية والمماليك .

وقد عرفها ياقوت سلسلة الحصون الداخلية الجنوبية بطرقها الحربية لأنها تعصم الحدود وتعينها على صد غارات البيزنطيين وبذلك تتميز عن الحصون الشمالية الخارجة الملاصقة للحدود الشرقية المسماة بالثغور (٢).

وقد فرق ابن قدامة: (بين الثغور والعواصم بقوله: ان الثغور المقابلة لبلاد الروم منها برية تلقاها بلاد العدو وتقاربه من جهة البر، ومنها بحرية تلقاه وتواجهه من جهة البحر، ومنها ما يجتمع فيه الامران...وعواصم هذه الثغور وما وراءها لأن كل واحد منها يصلح الثغر ويمده في أوقات النفير) (٣) .

والعواصم أنشئت لتكون الخط الثاني للثغور الملاصقة للروم بقصد ان يعتصم بها المسلمون من العدو اذا خرجوا من الثغر ويجتمع فيه المتطوعة قبل الانطلاق للغزو (٤).

والثغور بعضها تعرف بثغور الشام وبعضها تعرف بثغور الجزيرة وكلاهما من الشام فالثغور الواقعة بين ملطية ومرعش تسمى ثغور الجزيرة وتشمل ملطية والمدن والمارونية والكنيسة السوداء يجتاز زربة والحمصيصه واذنه وطرسوس ومرعش (٥).

والثغور الجزرية فأنها تمتد مابين دجلة والفرات وتشمل على ديار ربيعة ومضر ومخرج ماء الفرات من داخل بلد الروم من ملطية ثم يعدى حد

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية (مادة العواصم) جـ١ ص٧٦١.

(٢) ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ص ٣٢٩.

(٣) قدامة بن جعفر : الخراج وصنعة الكتابة (ملحق بابن خرداذبة ص ٢٥٣).

(٤) عبدالمنعم ماجد : العصر العباسي الاول ص ١٧٥

(٥) ابن حوقل صورة الارض ص ١٥٣.

الجزيرة في سمت الشمال إلى تكريت والحديثة والموصل وجزيرة ابن عمر ثم يتجاوز آمد وحد دجلة على بعد من حد ارمينية ثم ينتهي إلى خروج ماء الفرات ومخرج ماء دجلة فوق آمد (١). وبين ثغور الشام وثغور الجزيرة جبل اللكام وهو الفاصل بين الثغرين، وجبل اللكام هو جبل داخل في بلد الروم، ويظهر في بلد الاسلام بين مرعش والهارونية وبين زربه فيسمى اللكام إلى أن يجاوز اللاذقية ثم يسمى جبل بهراء، وتنوخ إلى حمص ثم يسمى جبل لبنان ويمتد على الشام حتى ينتهي إلى بحر القلزم (٢).

والثغور البحرية هي سواحل جند حمص انطرطوس وبلنياس واللاذقية وجبلة والهرباذة وسواحل جند دمشق جبيل بيروت وصيدا وعدقون وسواحل جند الاردن وصور وعكا وسواحل جند فلسطين وقيسارية وارسو ويافا وعسقلان وغزة، وسواحل مصر ورفح والفرماء والعريش (٣). وتمتد الثغور مابين البحر المتوسط حتّى سلسلة طوروس الارمنية ، وكانت ارمينيا تعتبر اقليم حدود بين الامبراطوريتين حيث يتعاقب الحكم العربي والبيزنطي عليها (٤) وقد حدد الجغرافيون العرب اقليم الثغور بانه : (يبتديء من الشرق فيمر ببلاد التبت ثم على خراسان ... وسرمن‌رأى والموصل ونصيبين وآمد ورأس العين وقالي قلا وشمشاط وحران والرقة وقرقيسيا ويمر على الشمال ففيه من المدن بالس ومنبج وسميساط وملطية وزبطرة وحلب وقنسرين وانطاكية وطرابلس والمصيصة والكنيسة السوداء واذنه وطرسوس وعمورية واللاذقية ثم يمر في البحر الشام على جزيرة قبرص ورودس ثم يمر في ارض المغرب على بلاد قنجة وينتهي إلى بحر المغرب (٥) والحقيقة ان قسم من هذه الثغور

(١) الاصطخري المسالك والممالك ص٥٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣.

(٣) ابن خرداذبة المسالك والممالك ص ٢٥٣ ،ص ٢٥٥.

(٤) فتحي عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية جا ص١٣١ .

(٥) ابن رسته : الاعلاق النفسية ص ٩٧–٩٨ .

التي ورد ذكرها هي ليست ثغور وانما هي عواصم كانت تمد الثغور بالامدادات

لقد سكن العرب الثغور ومنهم الاراميون وكثروا هناك قبل الاسلام بقرون عدة وغدت هذه المناطق ديارا لهم عرفت باسم قبائلهم التي استقرت فيها مثل ديار ربيعة وديار مضر وديار بكر كما وجدت فيها عناصر من السكان المجاورين ، وكانت تلك الثغور تعرف باسم (المسالح) ومنها المسلحة ، وهم (القوم الذين يحفظون الثغور من العدو ، وسموا مسلحة لانهم يكونون ذوي سلاح . او لانهم يسكنون المسلحة وهي كالثغر (١) .

وكان يسكن تلك المسالح جماعة من العرب واجبهم مراقبة تحركات الاعداء ضد بلاد العرب ، وتنبيه اخوانهم الذين فيها عن تقدم العدو إلى داخل الاراضي العربية ويسمى المرقب فيقول ابن منظور (والمرقب يكون فيه اقوام يرقبون العدو لئلا يطوقهم على غفلة ، فاذا رأوه اعلموا اصحابهم ليتأهبوا ...) (٢) .

وقد تعرضت هذه الثغور قبل الاسلام الى غزو الفرس والروم ولم يكن لها كيان مستقل وجاءت حركة التحرر العربي للعراق والشام إلى تنحية الجيوش البيزنطية عن مواقعها في هذه الثغور وقد تهيأ للثغور الجزرية بحكم موقعها الجغرافي المتوسط وكونها معبراً بين العراق والشام والامبراطورية البيزنطية وارمينياواذربيجان ان تكون ذات أهمية خاصة بين أقاليم الخلافة الاموية والعباسية(٣) وكان لجزر البحر المتوسط اهميتها بالنسبة لمناطق الثغور والعواصم على الحدود العربية وقد جعلت في هذه الجزر حاميات عربية . وكانت العمليات الحربية في الجزر البعيدة عن الشام مثل صقلية تؤثر على قوة البيزنطيين الرئيسية وتعطى لحملات الثغور العربية فرصة سانحة لمهاجمة بلاد الروم ، ومن أهم هذه الجزر قبرص واقريطش وصقلية وارود التي افتتحها العرب سنة ٥٤هـ (٤) .

---

(١) ابن منظور : لسان العرب (مادة سلح).

(٢) نفس المصدر السابق والصحيفة .

(٣) فتحي عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية جـ١ ص١٤٢ .

(٤) لي سترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٥٩.

والثغور البحرية على الاطلاق سواحل الشام ومصر كلها والمجتمع فيها الامران غزو البحر وغزو البر وهي سواحل جند دمشق وانطرطوس وبلنياس واللاذقية وجبلة والهرباذة وحصن الصرفند وعدمون وسواحل جند الاردن وصور وعكا (تصنع فيها المراكب) وسواحل جند فلسطين وقيسارية وارسومن ويافا وعسقلان وغزة وسواحل مصر رفح والفرما والعريش (١).

الثغور وحركة التحرر العربية :

ترجع صلة عرب الجزيرة بعرب العراق والشام الى قبل الاسلام بقرون كثيرة حيث ان حركتها تجاوزت حدود الجزيرة وكانت ترمي قصد الشام والعراق وشمال وشرق أفريقيا تمارس حياتها في الائتلاف فيما بينها تتأثر وتؤثر فيها وتكون نتيجة ذلك صلة ما بين الجزيرة العربية وخارجها لأن المجتمع العربي قبل الاسلام بوجه عام لم يكن مجتمعاً انطوائياً ولامغلقاً على نفسه

وانما كان هنالك تيار دائم في تنقل القبائل وتمازجها وكان لهذا التمازج انعكاس في الحياة اللغوية والادبية فقد كانت لها آثارها العميقة في التقريب ما بين لهجاتها وفي تشذيب الخلافات التي كانت بينها ، وبعد أن ثبت الاسلام أسس الوحدة العربية داخل الجزيرة العربية بتطبيق مبدأ المؤاخاة وانكار الدماء التي كانت في الجاهلية وانكار الدعوة الى العصبية وتصفية أحقاد الجاهلية لصهر المجتمع العربي بالغاء الفروق والعصبيات والتالف بين الناس على أساس العقيدة لا الدم ووحدة الكلمة مكان التشتت والافتراق والمشاركة في البذل والتضحية من أجل هذه المثل والمبادىء (٢) .

ولكن الأمر لم يقف عندها وانما تعداها الى عمل أبعد أفقاً وأكثر شمولا في الحركة التحررية العربية التي قادها العرب في ظل وحدة الامة لتحقيق رسالة الاسلام ، وهذا يقودنا الى ابراز حقيقة تاريخية هي أن العرب الذين خرجوا لنشر العقيدة الاسلامية لم يكونوا ليتخذوا شكلا قبلياً بل كانت

---

(١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص٢٥٣ ، ص ٢٥٥ ، ياقوت : معجم البلدان ج٣ ص١٦ . ج٦ ص٢٣٧ .

(٢) شكري فيصل : المجتمعات الاسلامية ص٢٨ ، ص ٣٠ .

(٣) شكري فيصل : المجتمعات الاسلامية في القرن الاول الهجري ص٢٨ ط٣ ، دار العلم بيروت ١٩٧٣ .

تتوافد الجموع من القبائل كافة ويؤمر عليها الأمراء فقد روى الطبري قول عمر بن الخطاب (لاتدعوا أحدا الا وجهتموه الي والعجل العجل) (١) لان الهدف من خروجهم هو وحدة الامة والارض وتحرير الانسان من العبودية والضلال بما حمله العرب من رسالة الاسلام ونتج عن ذلك المزج والصهر بين الطوابع القديمة الموجودة خارج الجزيرة والتي حملها أهل الجزيرة فاستطاعت ان تؤلف وحدة اجتماعية جديدة تتعاون وتتزاوج وتختلط وتكون لها روحها وعقيدتها فهذه الظاهرة الواضحة في الحياة العربية تشكل الامة وصورتها (٢) .

ان التعرف على الآثار الكبرى التي نجمت عن حركة التحرر العربي يجد ان تيارات هذه الحركة هي الارض التي تتشقق فيها هذه البذور عن اولى اوراقها الخضرة وبراعمها النضرة ومن العسير فصل البراعم أو الاوراق النضرة عن التربة التي بدت فيها لانها لا تعيش الا بها ولا تملك الانفصال عنها ومن هذه الخطى الاولى (حركة التحرير) نتج عنه التعريب اللغوي وصلة القرابة بين العرب في جزيرتهم وبينهم في خارجها وما للاسلام من أثر فعال في توحيدهم بحيث أنه لم تكد تمضي سنوات قليلة على ظهور الاسلام في قلب الجزيرة العربية حتى حرر العرب حصن بصري العربي (البتراء) التي كانت خاضعة للبيزنطيين وكان تحرير ذلك الحصن كما يقول كيبون (حادثاً تافهاً لو لم يكن مقدمة لثورة عظمى) (٣) وكانت انتصارات العرب الحربية تبعث على الدهشة ففي سنة ١٤هـ ٦٣٥م سقطت دمشق وفي سنة

---

(١) الطبري : ج٤ص٨٢ ، انظر اليوزبكي: دراسات في النظم الاسلامية ص٤٠.

(٢) شكري فيصل : المجتمعات الاسلامية ص٣٥.

(٣) Cibbon, The Decline and fall of the Roman Empire·P 95(London 1898)

١٥هـ ٦٣٧م سلمت بيت المقدس وعادت فلسطين ولاية عربية ، وفي الوقت ذاته انتهت دولة الفرس ، وفي سنة ٢٠هـ ٦٥١م حرر العرب الاسكندرية وبعد ذلك بسنوات قلائل بعد تحرير مصر تقدم العرب الى ابعد من ذلك على سواحل الوطن الغربي في شمال افريقيا ولم تحل سنة ٢٩هـ ٦٥٠هـ حتى كانت سوريا والقسم الشرقي من آسيا الصغرى والعراق وفلسطين ومصر جزءاً من الولايات الخاضعة للنفوذ العربي والمغرب العربي قد تحرر نهائياً ، وفي نهاية القرن السابع للميلاد حرر العرب شمال افريقيا كله وبدأوا عند مطلع القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد فتحهم لشبه جزيرة ايبريا (الاندلس)(١).

ان السرعة الفائقة والنجاح السريع التي تمت بها حركة التحرير العربية كانت من الامور التي احتلت جزءاً في تفكير المؤرخين المحدثين ففي خلال أقل من قرن من الزمان امتد الاسلام من الصين شرقاً الى المحيط الاطلسي غرباً ومن جبال القفقاس وأسيا الصغرى شمالا الى البحر العربي والمحيط الهندي جنوباً . واذا كان ضعف الفرس والروم عاملا مهماً من العوامل المساعدة التي سهلت مهمة العرب ألا أنه لابد من وجود قوة دافعة دفعت العرب الى التقدم حتى استطاعوا أن يحدثوا هذه الثورة الضخمة في تاريخ العالم آنذاك (٢)،ان حركة التحرر العربي في القرن الاول للهجرة السابع للميلاد ؟ لم تكن مفاجئة وانما هي حلقة من سلسلة طويلة بدأت من قبل ذلك بعدة قرون ترجع قدمها الى الالف الرابع قبل الميلاد وادت الى خروج الكثير من الهجرات العربية من قلب الجزيرة العربية تتجه خارجها لشعور العرب أن الوطن العربي يمثل الساحة الواسعة التي يتحرك عليها العرب بحرية فلما تدهورت الاحوال الاقتصادية في الجزيرة دفع قسم من سكانها الى الانتقال خارجها فيرى برنارد لويس : (أن بلاد العرب شهدت في

(١) نورمان بينز : الامبراطورية البيزنطية ص٣٦١.
(٢) عاشور : اوربا في العصور الوسطى ص ١٤٤ ط٥ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٢

قديم الزمان خصباً عظيماً أعقبه جفاف مستمر مما أدى الى زحف الصحراء على حساب الاراضي الخضراء حتى أخذ السكان يخرجون منها على هيئة هجرات بعد ان ضاقت سبل العيش في وجوههم (١) وأعقبها حركات انتقال عديدة ومستمرة كان آخرها مع بزوغ فجر الاسلام الذي دفع العرب الى تحرير الوطن العربي ذلك هو العامل الديني والرغبة الصادقة في الجهاد والاستشهاد في سبيل العقيدة والمبدأ .

لقد كانت حركة تحرير الشعوب الخاضعة للنفوذ الفارسي والبيزنطي حدثاً خطيراً في مجرى التاريخ فقد قضت حركة التحرير العربي على الامبراطورية الفارسية وهزت القوة البيزنطية وواصلت حملاتها التحررية الى أسبانيا بعد تحرير الشام والعراق وتتابعت على أثرها الجزيرة وأرمينيا من جهة الشرق ومصر والمغرب وجزر البحر المتوسط من جهة الغرب .

ان تأمين حدود الوطن العربي الشمالية المجاورة للدولة البيزنطية استدعى السيطرة على تخومها من الشمال والشمال الشرقي ، وفي ظل هذه الستراتيجية اقتضى الموقف ان تؤمن الشام والجزيرة ومصر ومن الارجح انهم ناقشوا هذه السياسة وتقررت في مؤتمر الجابية حيث اجتمع عمر بن الخطاب بقواده . على ان القادة قاموا بتأسيس قواعد عسكرية في مناطق الحدود واعادوا بناء مدن المهجورة والمخربة وبناء مدن جديدة وتحصينها ، وهكذا نشأت الثغور العربية .

على ان حركة حماية الحدود لم تقتصر على البر فتتابعت الحملات البحرية على جزر البحر المتوسط فكانت معركة الصواري ٣٤هـ/٦٥٥م بداية لتكوين أسطول عربي قادر على حماية الحدود البحرية للدولة العربية وكانت ضربة قاضية للاسطول البيزنطي (٢) .

(١) برنارد لويس : العرب في التاريخ ص ٢٨.
(٢) فتحي عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ج٢ص٩.

وقد لعب الموقع الجغرافي للوطن العربي دوراً أساسياً في توزيع المعسكرات العربية المجاورة للحدود البيزنطية فيؤكد ابن رستة : أن عمر بن الخطاب جند الشام الى اربعة أجناد وعين عليها قادته وهم : أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد ويزيد بن ابي سفيان وعمرو بن العاص فبقيت الشام على ذلك التجنيد حتى زاد فيها يزيد بن معاوية قنسرين ، وكانت من أرض الجزيرة فصارت اجناد الشام أربعة هي جند فلسطين في الرملة وجند الاردن في طبرية وجند دمشق وجند قنسرين (١) .

وقد اتبع معاوية بن ابي سفيان في ولايته وخلافته للشام اسلوب اسكان القبائل العربية الضاربة في شمال العراق في جهات بعيدة عن المدن والمعرضة للغزو البيزنطي ثم حصن هذه المدن بسلسلة من الحصون تشبه العواصم والثغور الشاميه وخصص لها حاميات دائمة (٢) كما عقدت سلسلة من المحالفات مع بعض دول الطوائف التي تحتل اماكن حساسة على الحدود فتعاهدوا مع الجراجمة في جبل اللكام وتعاونوا مع البيالغة على اطراف الدولة البيزنطية القريبة من حدود المسلمين عند الفرات الاعلى (٣)ولقد عامل العرب سكان العراق والشام ومصر من عرب وغيرهم معاملة حسنة مبنية على التسامح الديني فيذكر فيليب حتى : ان أهل الشام لم يكونوا متجاوبين مع حكامهم البيزنطيين بسبب الخلافات الطائفية بينهم ورحبوا بالعرب المسلمين لعدلهم وتسامحهم ولأنهم حققوا لهم الأمن والطمأنينة (٤) وربما قاموا من وحدات عسكرية لحماية حدود الدولة العربية في حصون الروم التي هربوا عنها واتخذوها قواعد ترتكز اليها القوات العربية وبنوا الثغور وحصنوها وشحنوها بالجند فلقيت هذه الثغور والحصون عناية فائقة من الخليفة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فكتب عمر الى ابي عبيدة بن الجراح يقول (أن رتب بانطاكية

---

(١) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص١٠٥ .

(٢) العدوي : الامويون والبيزنطيون ص١٠٣ (٣) فتحي عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ج٢

(٤) فيليب حتي : تاريخ العرب المطول ج١ ص ١٨٧ .

جماعة من المسلمين أهل ثبات وحسبه وجعلهم بها مرابطة ولا تحبس عنهم العطا وفي ولاية معاوية للشام كتب اليه عمر بن الخطاب بمثل ذلك ثم ان عثمان كتب اليه يأمره أن يلزمها قوما وان يقطع القطائع .. وشحنها بالمقاتلة وأسكنها قوماً من العرب) (١) .

وكان جند الثغور يتكونون من الجند المستقرة الدائمة من سكان الامصار والاجناد ومن البعوث التي تأتيهم من سكان المناطق المجاورة في أوقات الحرب ، وقد استعان العرب بالمرتزقة في حروبهم مع البيزنطيين فكان الجيش يتكون من العرب والفرس والاتراك والزنج والبربر وصارت الجيوش كبيرة وقد اسكن الخلفاء هولاء الجند المرتزقة في الثغور وزادوا في مرتباتهم وأعطياتهم وإلى جانب المرتزقة كان هناك الجند المتطوعة الذين سكنوا الثغور في أوقات الحروب طلبا للجهاد في سبيل الله ، وقد اشترك عدد كبير من المسلمين زمن الأمويين في حروبهم مع البيزنطيين باعتبارهم متطوعة ، وانضوى عدد كبير منهم تحت راية العباسيين للدفاع عن بلاد الاسلام او للاغارة على ارض العدو (٢) كما عزز معاوية المناطق الساحلية ، بالجند فنقل قوما من بعلبك وحمص وانطاكية إلى سواحل صور وعكا ، ونقل اساورة البصرة والكوفة إلى انطاكية ونقل من زط البصرة وأنزل بعضهم انطاكية (٣) ونقل الوليد بن عبد الملك قوما من زط السند وأسكن مروان بن محمد الفرس والصقالبة في شرق جيجان عند المصيصة (٤) .

وقد اهتم الخلفاء الامويون والعباسيون ببناء الثغور والحصون والعواصم فقد بنى عبدالله بن عبد الملك المصيصة سنة ٨٤ هـ وشحنها بالرجال وبنى هشام ابن عبد الملك المربض كما بنى حصن المثقب وقطر عاش وموره ويونا وبفراس . ولما صار العباس بن الوليد بن عبدالملك إلى مرعش عمرها

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص١٥٤ ص ١٥٦ ص ٦٦

(٢) فتحي عثمان : الحدود الاسلامية جـ٢ ص٢٧١.

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص١٢٣، ص١٣٣، ص١٦٠ ص ١٦٩ .

(٤) المصدر السابق ص ١٧٣ .

وحصنها ونقل الناس اليها وبنى مروان بن محمد الحصون في شرقي جيجان(١) وبلغ من اهتمام العباسيين بالثغور أنهم كانوا يولونها إلى ابنائهم واخوتهم وأقرب المقربين اليهم ففي خلافة ابي العباس السفاح ولى أخاه جعفر الجزيرة والموصل والثغور وأرمينيا وأذربيجان (٢) وعين المأمون ابنة العباس أميرا على الثغور عام ٢١٢ هـ / ٨١٧ م جريا على سنة خلفاء المسلمين الذين يشركون أبناءهم وأخوتهم في حرب الثغور (٣) وقد بذل العباسيون الأوائل جهودا كبيرة في حماية حدود الدولة العربية من الهجوم البيزنطي بالعمل على تحصين المراكو الواقعة على الحدود والممرات الجبلية وشحنوها بالرجال والسلاح (ففي أواخر أيام أبو العباس سنة ١٣٣ هـ حاصر الروم بقيادة قسطنطين ثغر ملطية فكتب أبو العباس إلى عبدالله بن علي يعلمه ان العدو قد كلب بالغفلة عنه وامره ان ينفذ بالجيوش التي معه فيبث جيوشه في نواحي الثغور

وزحف حتى قطع الدرب ولم يزل يعبيء حتى أتاه خبر وفاة أبي العباس (٤) . وتابع المنصور والمهدى تحصين المصيصة واعادة بناء سورها سنة ١٤٠ هـ وسماها المعمورة ونقل اليها الرجال من فرس وصقالبة وانباط وبنيت أذنه سنة ١٤١ هـ وأعاد المهدى بناء وتحصين طرطوس والحدث سنة ١٦٣ هـ (٥) ولم يكن هدف المنصور من غزواته وتحصيناته ماكان يهدف اليه الخلفاء الامويون من حيث القضاء على دولة الرول والسيطرة على حوض البحر المتوسط وانما كان هدفه الاستيلاء على معاقل جبال طوروس لمنع الروم من مهاجمة حدود الدولة العباسية (٦).

---

(١) فتحي عثمان : الحدود الاسلامية جـ٢ ص٢٤٢.

(٢) اليعقوبي : تاريخ جـ٣ ص٨٠، دار الفكر ،بيروت ١٩٥٦.

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ١٠ ص ٢٨٠ .

(٤) اليعقوبي : تاريخ جـ٣ ص ٧٣ .

(٥) اليعقوبي : تاريخ جـ٣ ص ١٠٨ .

(٦) عبدالجبار الجومرد: داهية العرب أبو جعفر المنصور ص ٣١٣ دار الطباعة بيروت ١٩٦٣.

وفي خلافه المنصور تحرك الخزر بناحية أرمينيا ودخلوا بلاد الاسلام فلما انتهى الخبر الى ابي جعفر أخرج سبعه الآف من اهل السجون وبعث يجمع من كل بلد خلقاً عظيماً ووجه بهم وبفعله وبنائين فبنى مدينة كمخ ومدينة المحمدية ومدينة باب واق وعدة مدن جعلها رداء للملسمين وأنزلها المقاتلة فردوا الحرب وقوى المسلمين بتلك المدن وأقام بالبلد ساكتا (١)

وأراد المهدى ان يحمي حدود الدولة العباسية الشرقية فوجه رسلا إلى الملوك يدعوهم إلى الطاعة فدخل اكثرهم في طاعته فكان منهم ملك كابل وملك طبرستان (الاصبهبذ) وملك السغد (الصغد) (الاخشيد) وملك طخارستان (شروين) وملك باميان (الشير) وملك فرغانه (فريران) وملك اشروستة (افشين) وملك سجستان (رتبيل) وملك الترك (طرخان) وملك التبت (جهورت) وملك السند (الراى) وملك الصين (بقبور)وملك الهند (واشراج وملك الغز (خاقان) (٢) .

وفي خلافة الرشيد امن هرثمة بن أعين بناء طرسوس سنة ١٧١ ه فأحكم بناءها وجعل لها خمسة أبواب وحولها سبعة وثمانون برجا ولها نهر عظيم يشق وسطها وعليه القناطر المتعددة ثم انصرف الرشيد إلى العراق واستخلف على الشامات والجزيرة جعفر بن يحيي وعين عمه عبد الملك بن بن صالح أميرا على الجزيرة وبعض بلاد الشام (٣) وبنى الرشيد عين زربة سنة ١٨٠ ه وحصنها وأسكنها من الجند الخراساني ، كما بني الهارونية سنة ١٨٢ ه وشحنها بالمقاتلة والمتطوعة وكذلك بنى حصن الكنيسة السوداء وحصنها (٤).

---

(١) اليعقوبي : تاريخ جـ٣ ص ٩٠.

(٢) اليعقوبي : تاريخ جـ٣ ص ١٠٩ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ جـ٣ ص١١٨.

(٤) فتحي عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية جـ٢ ص٢٤٦ .

كان الخلفاء الأمويون والعباسيون يزودون أهل الثغور بما يحتاجون اليه من النفقات والكسوة ويرتب لهم الأطباء والجراحين وما يحتاجون اليه من الادوية والاشربة والذخائر (١) كما كانوا ينفقون بسخاء ويزيدون في اعطاء الجند اضافة إلى اعتماد مرتبات الجند على خراج المنطقة فقد بعث معاوية مثلا إلى قبرص باثني عشر الف كلهم يتلقون مرتباتهم من الديوان فبنوا المساجد بها ونقل اليها جماعة من بعلبك وبنى بها مدينة وأقاموا يعطون الأعطية إلى ان توفي معاوية (٢) .

وكان للعباسيين الأوائل آثار مشكورة على خط الحدود العربية البيزنطية (فلما استخلف المنصور أسكن ملطية اربعة ألاف مقاتل من أهل الجزيرة لأنها ثغورهم وعلى زيادة عشرة دنانير في عطاء كل رجل ومعونة مائة دينار سوى الجعل الذي تتجاعله القبائل بينها ووضع فيها شحنتها من السلاح وأقطع الجندالمزارع فقد جرى ذلك لتشجيع المرابطين في الثغور على مايواجهون من مخاطر فكان المرابط يتلقى بادىءذى بدء حصته يتجهز بها وينال سكنا وزيادة في العطاء ثم اقطاعا في ريف الثغر (٣).

وفي عهد الرشيد نشط الاسطول العربي في تحركاته في البحر المتوسط فيذكر البلاذري أن الرشيد أقام دورا لصناعة السفن لم يقم قبله وقسم الأموال والسلاح في الثغور (٤)

وربما فكر أن يصل مابين بحر الروم (المتوسط) وبحر القلزم (الاحمر) وفي عهده أعاد فتح رودوس (٥) عام ١٧٥ هـ/ ٧٩١م كذلك شن الاسطول العباسي حملات على اقريطش (٦) (كريت) كما غزا قبرص سنة ١٩٠ هـ

---

(١) الحسن بن عبدالله آثار الاول في ترتيب الدول ص ١٦٦ .

(٢) فتحي عثمان : الحدود الاسلامية جـ٣ ص١٤٨.

(٣) شعيرة (المرابطون في الثغور العربية الروحية) بحث في كتابه (إلى طه حسين في عيدميلادهالسبعين).

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ص ٩٣.

(٥) ياقوت : معجم البلدان جـ٤ ص ٣٠٠.

(٦) البلاذري : فتوح البلدان جـ٤ص ٢٧٩ .

/ ٨٠١ م (١) وحاول الرشيد الاستفادة من ضعف الروم فاستولى عام ١٨١ هـ/ ٧٩٨م على قلعة الصفصاف (٢) وواصل السير حتى وصل افسوس (انقرة) (٣) وفتح حصون جديدة منها حصن مطمورة عام ١٩٢ هـ/ ٨٠٨م (٤) .

وفي خلافة الامين تولى عبد الملك بن صالح جميع ما كان اليه من الجزيرة وجند قنسرين والعواصم والثغور ورد اليه أمواله وضياعة وولى اسحاق بن سليمان الهاشمي أرمينيا (٥) .

وفي سنة ٢١٧هـ غزا المأمون بلاد الروم وصار الى حصن لؤلؤة فاقام عليه حينا لم يفتحه فبنى عليه حصنين أنزل فيهما المسلمين (٦) وغزا في سنة ٢١٨هـ بلاد الروم واستعد لحصار عمورية ووجه الى العرب فأتى بهم من البوادي ثم انزلهم كل مدينة افتتحها حتى قرب الى القسطنطينية فأتاه رسول ملك الروم يدعوه الى الصلح فلم يقبل فلما قرب من حصن لؤلؤة أقام أياماً وتوفي في موضع بين لؤلؤة وطرسوس (٧) .

وفي خلافة المعتصم سنة ٢٢٣هـ دخلت الروم ثغر زبطرة فقتلوا وأسروا كل من فيها فلما انتهى الخبر الى المعتصم خرج بعسكر كبير وقصد عمورية وكانت من أعظم مدائنهم وأكثرها عدة ورجالا فحاصرها فلقي الروم وأوقع بهم هزيمة فأوفد ملك الروم من قبله وفداً الى المعتصم يقول : ان الذي فعلوا بزبطرة ما فعلوا تعدوا أمري وأنا ابنيها برجالي ومالي وأتيت اليك بالقوم الذين فعلوا بزبطرة على رقاب البطارقة ، وفتحت عمورية

---

(١) الطبري : تاريخ جـ١٠ ص ٩٨ ومابعدها .
(٢) ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص ٣٦٨ .
(٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٣ .
(٤) الطبري : تاريخ جـ١٠ ص ١٠٩ .
(٥) اليعقوبي : تاريخ جـ٣ ص ١٣٦ .
(٦) المصدر السابق : جـ٣ ص ١٦٠.
(٧) المصدر السابق : جـ٣ ص ١٦٢ الطبري : جـ١٠ ص ٢٩٥.

لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان عام ٢٢٣هـ وسبى جميع من فيها وأخذ باطس خال ملك الروم (١) وأقام المعتصم بعد فتح عمورية جملة من الحصون منها الحسينية وبنى الموض وابن رحوان ويلي هذه الحصون ثغر كيسوم ثم ثغر حصن منصور وثغر شمشاط وثغر ملطية وكل واحد بينه وبين بلد العدو درب وعقبه ، ومن الثغور الأخرى التي بناها وحصنها الثغر دلوك ورعان ومنبج (٢) .

تدهور الثغور والعواصم :

لقد أصاب الخلافة العباسية الضعف منذ منتصف القرن الثالث للهجرة بسبب سيطرة العنصر الأجنبي على مقاليد الحكم من أتراك ثم بويهيين وسلاجقة وظهور خلفاء ضعاف وتقاعسهم عن مواصلة الجهاد وحماية الثغور دفعت الروم الى مهاجمة الثغور العربية واحتلال اجزاء من ثغور الشام والجزيرة (٣) مما دعا الى انقسام الدولة العباسية وظهور دويلات صغيرة ابرزها الدولة الحمدانية التي تسيطر على الاراضي الواقعة في الجزيرة وبلاد الشام والتي حدودها ملاصقة لحدود الدولة البيزنطية فتحتم على الدولة الحمدانية ان تقوم بدورها الديني والسياسي في الجزيرة مما جعل الخلافة العباسية في بغداد تنظر الى قيام الدولة الحمدانية نظرة ارتياح لحماية البلاد الاسلامية من غارات الروم بل انهم شرطوا عليهم في عهود التولية القيام بالجهاد والدفاع عن الثغور (٤).

فهذا كتاب تولية من الخليفة العباسي المطيع لله عهداً أورده أبو اسحق الصابيء لسيف الدولة الحمداني وفيه قلده (الصلاة وأعمال الحرب والمعادن والاحداث والخراج والضياع والجهبذة والصدقات والجيش والمظالم والاشراف على العيار في دور الضرب والطراز والحسبة في مناطق الجزيرة كلها وهي

(١) المصدر السابق : جـ٥ ص ١٦٦ الطبري : ١٠ ص ٣٣٤ وما بعدها .

(٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢٥٣، طبعة بريل ١٨٨٩ م.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص ٢٤٤ ، اليوزبكي : الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية ط٢ ص ٢١٩ .

(٤) فيصل السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب جـ٢ ص ١٤٢ .

الموصل وديزبدي وبهذما والرحبة وديار ربيعة ومضر والثغور الجزرية والشامية وجند قنسرين والعواصم (١) .

ويعتبر القرن الرابع للهجرة من اغنى عصور الصراع في التاريخ العربي وعلى منطقة من اخطر مناطق الثغور هي شمال بلاد الشام والجزيرة الصامدة في وجه الحرب البيزنطية التي أعلنها الروم على الثغور العربية ذلك أن حروبهم التوسعية التي قادها نقفور والدستق وغيرهم كانت تتميز بظهور الروح الدينية وهدفها استعادة السيطرة على بيت المقدس واقتطاعها من الوطن العربي ، وان كانت الصيغة الدينية في الحالين تخفي وراءها المصالح الاقتصادية والتجارية والتوسع السياسي (٢) .

فقد كان الزحف العربي قد توقف عند أبواب كيليكية تاركاً جبال الامانوس وطوروس ضمن الاراضي العربية الاسلامية ثلاثة قرون ونصف القرن على الاقل حتى عاد الهجوم البيزنطي (ضد الحمدانيين) زمن الاسرة المقدونية في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة فاخذ طرسوس ثم انطاكية واتاخ في شمال وغرب حلب الى ان ازاحته الموجه السلجوقية(٣) .

ولعل من عوامل تدهور الثغور هو ضعف الموقف العربي في عصر الخلافة العباسية بسبب انتقال عاصمة الخلافة الى الشرق (بغداد) وغدت الدولة العباسية بعكس الاموية دولة قارية برية آسيوية شرقية ، أما الدولة الأموية فكانت دولة قارية بحرية وغربية تركزت حول البحر المتوسط ولهذا بذلوا ما استطاعوا منذ عهد معاوية للسيطرة على هذا البحر ونجحوا بذلك بعد معركة ذات الصواري بينما لم يهتم العباسيون بالاسطول البحري ولا بالبحر المتوسط وتركوا السيطرة عليه للروم حتى ظهرت قوة الاغالبة ثم قوة الفاطميين البحرية في هذا البحر فاقتسمت مع الروم تلك السيطرة (٤) .

---

(١) الصابيء : رسائل الصابيء (المختار في رسائله) جـ١ ص ١٢٦– ١٢٧ .
(٢) شاكر مصطفى : (من سير الثغور) مقالة بمجلة كلية الآداب جامعة الكويت العدد الثالث.
(٣) شاخت وبوزورث : تراث الاسلام ص١١٠ ترجمة السمهوري تحقيق شاكر مصطفى.
(٤) شاخت وبوزورث : تراث الاسلام ص١١١ .

ثم أن العباسيين كانوا بعكس الأمويين يعتبرون حدود الدولة نهايات لها لا مراكز انطلاق وقد حاولوا تحصينها بالثغور والعواصم والقلاع (ولا سيما على جبهة الروم) وعلى السواحل بدلا من أن ينطلقوا حتى الى ما وراءها لمتابعة السياسة الأموية . وقد استمرت الحدود العباسية البيزنطية ممتدة وراء الثغور الشامية والجزرية وفي أرمينية على ما كانت عليه في العهد الاموي واصبحت الحروب عليها نوعاً من التقاليد الحربية السنوية (الصائفة) لاظهار القوة وليس للفتح ولم يمثل الروم بلاد الشام الا بعد أواسط القرن الرابع اذا استطاعوا التمركز في الزاوية الشمالية الغربية من الشام باحتلال انطاكية وقد استردها السلاجقة منهم في اواخر القرن الخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد قبيل الزحف الصليبي على البلاد (١) .

ومن عوامل تدهور الثغور راينا ضعف الخلافة العباسية واضطراب الوضع السياسي في الداخل وانفصال بعض الولايات عن جسم الدولة العباسية نتيجة سيطرة العناصر الأجنبية من أتراك وبويهيين على الحكم وتوجيه سياسة الدولة وفق اهوائهم ورغباتهم الشخصية .

وأصبح الخليفة العوبة في أيديهم يولون ويعزلونه متى ما شاءوا كما سيطروا على الخزائن لنفقاتهم الخاصة وأصبحت صلاحيات الخليفة لاتعدوا صلاحية أئمة المساجد (٢) .

فوقع عبء الدفاع عن الثغور الاسلامية واحتمال كل ثقل الجيوش البيزنطية على عاتق اولئك الملوك العرب (بني حمدان) الذين جعلهم الفراغ السياسي في منطقة الجزيرة وشمال الشام يبرزون مكرهين أو راغبين ، لقيادة عمليات الدفاع وكان في فاتحة المعارك ان اخذ الروم بنتيجتها طرسوس وأذنه والمصيصة وعدداً من الثغور الجزرية واستردوا كريت وقبرص و دخلوا حلب نفسها(٣).

(١) المصدر السابق والصفحة .

(٢) انظر اليوزبكي الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية ص ١٢٥ ومابعدها ،ص ٢٢٥ ومابعدها ص ٢٢٧ .

(٣) شاكر مصطفى (من سير الثغور) مجلة كلية الآداب الكويت العدد الثامن ص٨ .

غير ان هذه الاقاليم الشاسعة أخذت تتقلص وتنكمش في اواخر ايام بني حمدان انتهت بتفوق الروم وأصبحوا أصحاب السيادة في أملاك الدولة الحمدانية (١) .

الاهمية الاقتصادية للثغور :

على الرغم من استمرار الحروب بين العرب والبيزنطيين في مناطق الثغور والعواصم والتي أدت الى تعطيل الزراعة وعرقلت التجارة وشردت السكان وحولت تلك المناطق الى اراض قفراء الا أنها أدت في أوقات السلم الى ازدهار العلاقات السياسية والى احتكاك تجاري حيث أصبحت مناطق الثغور أسواق تجارية لتبادل السلع والمواد المختلفة المتوفرة في الدولتين العربية والبيزنطية وكانت له آثاره البعيدة في الحياة الاقتصادية في الثغور العربية والبيزنطية . والحقيقة أن التجارة لم تكن تتوقف حتى في أوقات الحروب وكان التجار يستخدمون شتى السبل لايصال بضائعهم بين الشرق والغرب ، وكان البيزنطيون خاصة والاوربيون عامة بحاجة الى منتجات الشرق كالقمح والعقاقير الطبية والحرير والتوابل والسلع والعود والكافور والحجارة الثمينة والاقمشة المصنوعة والخزف والكاغد (٢) . وكان التجار اليهود الراذانية يجيدون عدة لغات يتكلمون العربية والفارسية والافرنجية والصقلية ويسافرون براً وبحراً من الشرق الى الغرب ، ويحملون من الشرق المسك والعود والكافور والدارصيني والبهار ويعودون الى البحر الأحمر ثم يذهبون الى القسطنطينية يبيعون سلعهم ويذهبون الى انطاكية ثم ينحدرون الى بغداد فالبصرة فالخليج العربي ومنه الى المحيط حتى يصلوا الهند والصين (٣) .

كان التجار في كلا الدولتين قد أقاموا علاقات تجارية بينهم فقد ظهر التجار البيزنطيون في كثير من المدن العربية وكان التجار العرب كذلك

(١) فيصل السامر: الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ج١ ص٥ .

(٢) رشاردولسن : ماركوبولو مغامراته واستكشافاته ص ٨٩ مطبعة السعد بغداد .

(٣) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ١٥٣– ١٥٤ .

يفدون على بيزنطة للتجارة وأصبحت طرابزون في القرن الرابع للهجرة من أهم مراكز الاتصالات التجارية بين التجار البيزنطيين والتجار العرب (١) واشار اليها المسعودي بقوله (٢) (ان لها أسواقاً في السنة يأتي اليها اكثر من الامم للتجارة بين المسلمين الروم والأرمن وغيرهم ويصف الاصطخري مدن الثغور والعواصم بقوله : انها كان لها اسواق حسنة وحمامات وفنادق ومحال ولم تزل أسعارهم في الأغذية وجميع المآكل واسعة ورخيصة (٣) .

وأشار جب : (٤) إلى أنه ليست هناك على مايظهر أخبار عن عراقيل أقامها الولاة العرب في وجه التجارة برا في القرن الأول من تاريخ الاسلام ، إن هذا الخبر يشير كذلك إلى الشام وإلى التجارة بين المواني الشامية والاقطار البيزنطية فكانت أنطاكية واللاذقية من الاماكن التي بقيت مزدحمة بعد الفتح العربي وكان من الصعب أن تكون كذلك لولا التجارة . وكان وجود المقاتلين في الثغور يعزز النشاط التجاري بما يقومون به من تأمين الطرق ورواج التجارة خاصة في أوقات السلم .

لقد أشار المؤرخ ابن العديم إلى العلاقات العسكرية والتجارية والاجتماعية بين المسلمين والروم في القرن الرابع للهجرة العاشر للميلاد مما تدل على رواج التجارة وازدهار العلاقات الاجتماعية بين سكان الثغور كما أن الثغور لعبت دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية لأنها احتلت مركز الصدارة في المواصلات التجارية العالمية (٥) ومن هذا يتبين أن استمرار العلاقات التجارية

---

(١) فيصل السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب جـ٢ ص ١٤٧ ،نورمان بينز : الامبراطورية ص ٧٧ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب جـ٢ ص١٣ (طبعة باريس) .

(٣) الاصطخري : المسالك والممالك ص٣٠ .

(٤) هاملتون‌جب : دراسات في حضارة الاسلام ص ٧٦ ،دار العلم للملايين بيروت ط٢ ١٩٧٤.

(٥) ابن النديم زبدة الحلب في تاريخ حلب جـ١ ص ١٦٤.

جعل تبادل المجاملات بين البلاطين (العربي والبيزنطي) امراً ممكنا حتى حين كانت الدولتان في حرب وخصام (١) و يؤيد نورمان بينز (٢) ماذهب اليه جب: من أن العلاقات السياسية مع العرب في الشرق والغرب أمرٌ أساسيٌ بالنسبة لبيزنطة فقد كانت مراسيم استقبال السفارات العربية التي كانت توفد إلى القسطنطينية في فترات الصلح تجري على أسلوب دقيق محكم .

الاهمية الاجتماعيــة للثغــور :

رافق حركة التحرير العربي استقرار العرب في الثغور لتأمين حدود الدولة العربية من هجمات البيزنطيين وفي الوقت نفسه وقفت القبائل العربية التي كانت مستقرة في العراق والشام منذ آلاف السنين قبل الاسلام من بني كلاب ونمير وقضاعة وسليم وربيعة ومضر وتغلب وغسان وتنوخ موقف المؤامر والمؤيد لحركة التحرير العربي التي قادها العرب لنشر رسالة الاسلام وكان من ذلك أن تيقظت روح القرابة بين القبائل العربية التي سكنت العراق والشام قبل الاسلام وبين اصولها في الجزيرة العربية ولعبت اللغة العربية دورها في تمتين صلة العرب فيما بينهم لأن قرابة الفكر (اللغة) هي أقوى من قرابة النسب (الدم) (٣) .

وأدى ذلك إلى اختلاط القبائل مع بعضها في هذه الجيوش وإلى اختلاطهم بالمدن وسكانها بعد الاستقرار (٤) .

فتآلفت معها وتأثرت بها وأثرت فيها وتكون من هذا التأثر والتأثير صلة مابين الجزيرة وخارجها من العرب وما بينهم وبين الأجناس الأخرى (٥) وفي هذا الجو الصافي استيقظت الروح القومية بين عرب الضاحية وعرب الجزيرة ، وقد أحست القبائل العربية بحاجتها إلى أن تعتد بهذه الروح الأصيلة ، ومكنت لها

---

(١) المصدر السابق : ص ٧٧ .
(٢) نورمان بيتز : الامبراطورية البيزنطية ص ٣٧٠ .
(٣) شكري فيصل : المجتمعات الاسلامية ص ٦٨ .
(٤) فلهاوزن : الدولة العربية ترجمة أبو ريدة ص ٢٤ — ٢٥ .
(٥) شكري فيصل : المجتمعات الاسلامية ص ٢٧ .

وحدة اللغة في انبعاث الروح القومية التي كانت أبعدمدى وأشد أثرا من الدور الذي لعبته القرابة (١) .

وأخذ تيار التعريب الاجتماعي واللغوي يلعب دوره الكبير في المدن والثغور وكان سبب ذلك أن أقبل غير العرب على الدخول في الاسلام كما أقبلوا على الزواج بالكتابيات (الذميات) وكان طبيعياً أن يستقروا في المدن والثغور (٢) اضافة إلى العناصر الأجنبية التي جاءت من الهند جلبها معاوية إلى أنطاكية والزط التي نقلت أيضاً إلى نفس المنطقة من قبل معاوية ثم الوليد بن عبد الملك بعد ذلك(٣) فأقبل هؤلاء على الحياة العربية في مواطنها فخالطتها وتمازجت معها فسادت اللغة العربية وتواصلت العلاقة وتواشجت الروابط وأدى إلى تسرب كلمات من العربية الى اليونانية وبالعكس كما أدى إلى تسرب الأساطير والحكايات (٤) . وقد لعب سكان الثغور والأسرى دوراً مهماً وبارزاً سواء في أوقات السلم أو الحرب في نقل وتبادل الأفكار والتقاليد الاجتماعية .

الاهمية العلمية والدينية :

لعب أقليم الثغور والعواصم دوره الحضاري والثقافي كما لعب دوره التجاري والحربي فقد كانت أنطاكية (وهي احدى مدن الثغور) مركزاً للثقافة اليونانية في بلاد الشام وظلت على الرغم من وضعها القلق بين الدولتين الا أن مدرستها بقيت زاهرة نحو ١٣٠ سنة ثم انتقلت إلى حران بالعراق على عهد المتوكل وظلت مزدهرة نحواً من أربعين سنة حتى دخل الفلاسفة والعلماء منها إلى بغداد في خلافة المعتضد (٥) .

---

(١) فتحي عثمان : الحدود الاسلامية ج٣ص ٣٥١ .

(٢) شكري فيصل : المجتمعات الاسلامية ص ١١٠.

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ج١ ص٧٦١.

(٤) فيصل السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ج٢ ص١٥١.

(٥) العدوي : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص ١٣٨، ص ١٤٣.

ومما يؤكد حقيقة مهمة أن العرب لم يكن منغلقين حضارياً عن الشعوب المجاورة ولا الاقوام المستوطنة في الوطن العربي بل أنفتحوا على الشعوب ونقلوا اليها تراثهم الحضاري والاجتماعي والثقافي والديني وأخذوا من الحضارات السائدة في المنطقة مايلائمهم فقد اعتمدوا أول الأمر على مانقله النساطرة العرب في الفلسفة اليونانية وكانوا حلقة الاتصال بين الفلسفة اليونانية الاغريقية وبين الحضارة العربية الاسلامية (١) .

والواقع أن الحضارة العربية لم تكن لتلتهم كل شيء تصادفه وانما كانت عملية الانتقال الحضاري قائمة من جانب العرب على اختيار وانتقاء ثم إدماج وصهر حتى يبدعوا ثقافتهم المتميزة ، فكانت الحضارة العربية تتخير غداءها تخيراً دقيقاً فلقد تقبلت من الخارج كل مساهمة من شأنها أن تساعدها على الاحتفاظ بذاتيتها (٢) . ولقد قامت الثغور بدور حضاري مهم ولا سيما في مجال تبادل الأفكار والآراء والمعارف وفي مجال الحياة الاجتماعية من تقاليد وعادات ومثل أجتماعية فقد احتلت هذه الثغور إضافة إلى ماذكر بدورها في الحياة الدينية والثقافية فقد كانت عند المسلمين أماكن للجهاد ضد الروم يقصدها المتطوعة من المؤمنين والزهاد والصوفيه واستقروا فيها طمعاً في الاستشهاد في سبيل الله وانشأوا في الثغور الربط وهي نوع من أماكن العبادة حيث يرابط فيها الاتقياء والزهاد والمحاربون من المتطوعين ثم أطلقت على أماكن المتصوفة من حيث أنهم يجاهدون فيها في سبيل الايمان (٣) . وقد بنيت في الثغور ربط خاصة بالنساء يقمن فيها ويتعبدن ويتلقين فيها دروسا في الوعظ والدين وكانت الربط مأوى يلجأ اليها الرحالون طلاب العلم(٤)وصارت الربط فيما بعد مأوى

---

(١) نورمان بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ٣٦٠ ومابعدها .

(٢) جرونبيلوم : حضارة الاسلام ، ترجمة جاويد ص١٢ ، ١٤ .

(٣) ديموبين : النظم الاسلامية ص ١٥٩.

(٤) عبدالله عبدالدائم : التربية عبر التاريخ ص ١٦١ ، دار العلم للملايين بيروت ط ١٩٧٥٢.

للعاجزين والنساء المطلقات والمهجورات واليتامى والفقراء ومسكناً للفقهاء واصبحت هذه الربط تؤدي خدمات اجتماعية ودينية وثقافية كالوعظ والتحدث والأفتاء ومنح الاجازات العلمية وتصنيف الكتب ومما ساعد على ذلك أن الواقفين عليها أنشاوا فيها الخزائن وأوقفوا عليها الكتب (١) كما اجتذبت الربط البحرية الاتقياء والمتحمسين على الجهاد فقد روي عن سفيان الثوري قوله لرجل من اليمن : (عليك بسواحل الشام فان هذا البيت يحجه كل عام ألف ومائتا ألف وثلثمائة ألف وما شاء الله من المستضعفين للك مثل حجهم وعمرهم ومناسكهم) (٢) ومما يجدر الاشارة اليه أن الثغور البيزنطية كانت تنتشر فيها الاديرة وكانت تقام فيها مناسك العبادة والتأليف ، والترجمة (٣) اضافة الى مهامها العسكرية مما يعطي صورة التشابه في دور الثغور في الدولة العربية والدولة البيزنطية .

---

(١) محمدجاسم حمادي : الجزيرة الفراتية والموصل ص ٤٤٥.

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٤٠ ،ابن عساكر :تاريخ مدينة دمشق تحقيق المنجد ط١ ص ٢٧١ .

(٣) فتحي عثمان : الحدود الاسلامية جـ٣ ص ٣٣٠ .

(مصادر ومراجع البحث)

ابن جعفر :قدامة (ت ٣٣٧ هـ – ٩٤٨م) .

١–(الخراج وصنعة الكتابة)

طبع ليدن ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة.

ابن حوقل: ابي القاسم محمد .

٢ – (صورة الارض)

نشر مكتبة الحياة بيروت .

ابن خرداذبة:ابي القاسم عبيدالله ابن عبدالله (ت ٣٠٠هـ)

٣ – (المسالك والممالك)

طبعة بريل ١٨٨٩ م .

ابن رستة :٤ – (الاعلاق النفيسة)

طبع ليدن

ابن العبري:غريغويوس ابي الفرج هارون ابن توما الملطي (ت ٦٨٥هـ – ١٢٨٦م).

٥ – (تاريخ مختصر الدول)

المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٥٨م

ابن كثير : ابي الفدا الحافظ اسماعيل ابن عمر (ت ٧٧٤هـ – ١٣٧٢م)

٦ – (البداية والنهاية في التاريخ) .

طبع مكتبة المعارف – بيروت ١٩٦٦م

ابن منظور: ٧ – (لسان العرب) باعتناء مرجليوث

الاصطخري: ٨ – (المسالك والممالك)

طبعة وزارة الثقافة والارشاد / القاهرة .

البخاري : ٩ – (صحيح البخارى)

القاهرة ١٣١٣ هـ

البلاذري : احمد بن يحيى ابن جابر (ت ٢٧٩ هـ — ٨٩٢م) .
١٠ — (فتوح البلدان)
نشر صلاح منجد مكتبة النهضة المصرية
الصابي :ابن الحسن هلال ابن الحسن (ت ٤٤٨ — ١٥٦م) .
١١ — (رسائل الصابي) — المختار من رسائله .
المطبعة العثمانية — لبنان ١٨٩٨ م .
الطبري : ابن جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ — ٩٣٢م)
١٢— (تاريخ الرسل والملوك)
طبع دار المعارف ٦٠ — ١٩٦٣م .
الماوردي : ابي الحسن علي بن محمد ابن حبيب المصري (ت ٤٥٠هـ)
١٣ — (الاحكام السلطانية والولايات الدينية)
مطبعة البابي الحلبي : القاهرة ١٩٦٠ م.
المقريزي :تقي الدين احمد ابن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥ هـ — ١٤٤١م).
١٤ — (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار)
القاهرة ١٢٩٤ هـ .
ياقوت : شهاب الدين ابي عبدالله الحموي (ت ٦٢٦ هـ — ١٣٢٨م).
١٥ — (معجم البلدان)
المسعودي : أبي الحسن على بن الحسين ابن علي (ت ٣٤٦هـ — ٩٥٧م)
١٦ — (مروج الذهب ومعادن الجوهر)
طبعة باريس
اليعقوبي : احمد ابن ابي يعقوب ابن وهب المعروف بابي واضح الاخياري
(ت ٢٨٤ هـ — ٨٩٧م)
١٧ — (تاريخ اليعقوبي)

بينز : نورمان
١٨ ـ (الامبراطورية البيزنطية)
تعريب حسين مؤنس
الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة
جـــب : هاملتون
١٩ ـ (دراسات في حضارة الاسلام)
دار العلم للملايين -- بيروت
ط٢ ـ ١٩٧٤.
الجومرد : عبد الجبار
٢٠ ـ (داهية العرب ابو جعفر المنصور)
دار الطليعة ـ بيروت ١٩٦٣ .
حمـادي : محمد جاسم
٢١ ـ (الجزيرة الفراتية والموصل)
دار الرسالة بغداد ١٩٧٧ م .
حتـي : فيليب
٢٢ ـ (تاريخ العرب)
بيروت ١٩٥٣ م .
دائرة المعارف الاسلامية :
٢٣ ـ (مادة العواصم)
ديموبيين : موريس غودفورا
٢٤ ـ (النظم الاسلاميه)
ترجمة صالح الشماع : مطبعة الزهراء بغداد ١٩٥٢
السامر : فيصل
٢٥ ـ (الدولة الحمدانية في الموصل وحلب) .
مطبعة الامام بغداد ١٩٧٠ .
٢٦ ـ (محاضرات في تاريخ الحضارة الاسلامية)
بغداد ١٩٧٠م .

سترانج : رلي .
٢٧ – (بلدان الخلافة الشرقية) .
شاخت : ديوزورث
٢٨– (تراث الاسلام)
ترجمة زهير السمهوري تحقيق شاكر مصطفى سلسلة عالم المعرفة الكويت ١٩٧٨ .
شعيرة :عبد الهادي
٢٩ – (المرابطون في الثغور العربية الرومية)
(بحث في كتاب إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين)
عثمان : فتحي
٣٠ – (الحدود الاسلامية البيزنطية)
طبع دار الكتاب العربي للطباعة والنشر : القاهرة ١٩٧٧.
عاشور : سعيد
٣١ – (اوربا في العصور الوسطى)
نشر مكتبة الانجلو المصرية ط ٥ ١٩٧٢ .
عبد الدائم : عبدالله
٣٢ – (التربية عبر التاريخ)
دار العلم للملايين – بيروت ط٢ ١٩٧٢ .
العدوي : ابراهيم
٣٣ – الامويون والبيزنطيون
مطبعة الانجلو المصرية
فيصل : شكري
٣٤ – (المجتمعات الاسلامية في القرن الاول الهجرى) ط٣
دار العلم للملايين – بيروت ١٩٧٣ م.

لويس : برنارد
٣٥ـ (العرب في التاريخ)
دار العلم للملايين — بيروت ١٩٥٤ .
ماجد : عبد المنعم
٣٦ـ (العصر العباسي الاول) مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٣
مصطفى : شاكر .
٣٧ـ (من سيرة الثغور)
مقالة في مجلة كلية الاداب / جامعة الكويت العدد ٢ كانون الاول ١٩٧٥.
واسن : ريتشارد
٣٨ـ (ماركوبولو مغامراته واستكشافاته)
مطبعة السعد / بغداد .
فلهاوزن : يوليوس
٣٩ـ (تاريخ الدولة العربية)
ترجمة عبد الهادى ابو ريدة
مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة .
اليوزبكي : توفيق سلطان
٤٠ـ (الوزارة ونشأتها وتطورها في الدولة العباسية)
ط١ مطبعة جامعة الموصل — ١٩٧٦ .
٤١ـ (دراسات في النظم العربية الاسلامية)
مطبعة جامعة الموصل — ١٩٧٧ م .
Gibban :
43– The Decline and Fall of the Reman Empire p.95(London 1898).

التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل

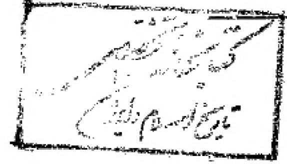


تصدر عن كلية الآداب
العدد الحادي عشر

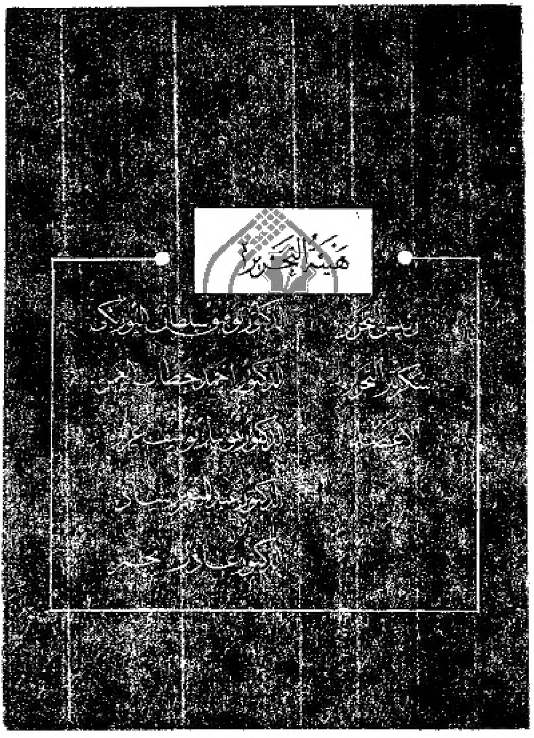
آداب الرافدين

تصدر عن كلية الآداب .
جامعة الموصل

آداب الرافدين



تصدر عن كلية الاداب
جامعة الموصل



العدد الحادي عشر
١٩٧٩ م
١٣٩٩ هـ

المراسلات : بأسم سكرتير التحرير — كلية الاداب — جامعة الموصل